المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب



الشعر العربي في غربي أفريقيا منذ الاستعمار
السنغال ونيجريا

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

اعداد
الطالب / عبد الصمد عبد الله محمد

اشراف
الدكتور / عبد البصير عبد الله حسين


المقدمة

ثم آن للغراس أن يثمر .. ففاضت قرائحهم في شتى مناحي الثقافة العربية الاسلامية ، وكان الحصاد وافرا غزيرا ، منه ما يتصل بحقل العقيدة والفقه ، ومنه ما يتصل بحقل علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض، ومنه ما يتصل بحقل المعارف الانسانية من تاريخ وتراجم وسير ، ومنه ما يتصل بحقل فنون الأدب من شعر ونثر .. وظل الخالفون منهم يضيفون الى تراث السالفين .. في مختلف المناحي الروحية والعقلية والفنية لا يفترون .. ولكن بعد ديارهم عن المصدر الثقافي الأم في المشرق ، ضرب حصار العزلة على حصاد معارفهم ، حتى ما يعرف عنها في بقاع الاسلام في المشرق بخاصة الا أقل القليل .. ثم ساعد على ذلك مؤامرات المستعمرين من أهل الغرب الذين يحرصون أشد الحرص على قطع ما أمر الله به أن يوصل بين أهل الاسلام .. وامعانا منهم في الكيد نقلوا أمهات المخطوطات التي تمثل النشاط العقلي والأدبي الى مكتباتهم في أوربا .. ثم قاموا بترجمة ما يهمهم منه الى لغاتهم ، ليكونوا على معرفة تامة بمزاج القوم ونفسياتهم ، حتى يسهل عليهم تسييسهم واحكام تغييبهم تحت ستار مسدل في ظلمات الاستعمار .

وهكذا تم حجب الثقافة العربية الاسلامية في منطقة غربي أفريقيا تحت ثقل عاملين شديدى الوطأة : أحدهما بعد الشقة عن الثقافة الأم في المشرق العربي الاسلامي ، والثاني مؤامرات المستعمرين الخبيثة التي ترتبط مصالحهم بحجب هذه الثقافة ..

ولما كنت متشرفا بانتسابي الى جامعة أم القرى بمكة المكرمة التي هي السويداء من قلب العالم العربي الاسلامي .. ومن ثم التحقت بكلية اللغة العربية من هذه الجامعة الفتية ، ثم تخصصت

بقسم الأدب من هذه الكلية ، منطلقا منه الى قسم الدراسات العربية العليا بتوفيق من الله ، ثم آن لي أن أختار موضوعا أبحثه لنيل درجة الماجستير ،فكانت كل الظروف الموضوعية تحتم علي أن يكون بحثي في حقل الثقافة العربية الأفريقية في هذه المنطقة النائية التي ضرب حصار العزلة حوله تراثها ..

من أجل ذلك كله كان موضوع دراستى : " الشعر العربي في غربى أفريقيا منذ الاستعمار " ، وقد وقفته على السنغال ونيجيريافحسب، حتى تأخذ الدراسة حقها من الشمول والعمق بعون من الله وتوفيقه تاركا بقية المنطقة لفرصة تالية اذا أذن الله تبارك وتعالى ..

ولا بد من الاشارة الى أن هنالك ثلاثة باحثين قد كان لهم فضل السبق الى العناية بهذا الموضوع ،أولهم الدكتور على أبوبكر بأطروحة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان " الثقافة العربية في نيجيريا".

وقد لاحظت أن رسالته جنحت الى الاجمال فيما يخص الثقافة العربية بصفة عامة والشعر العربي بصفة خاصة.

ثم تلاه الدكتور أحمد سعيد غلادنثي بأطروحة أخرى بعنوان : " حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا " .

وقد لاحظت أنه قد طغى الحس التاريخي على الجانب الفني في رسالته ، مهملا الرجوع الى كنوز من المخطوطات التي تضمنت نماذج فنية من الشعر البالغ الأهمية .

ثم تلاهما الباحث سركى ابراهيم فدرس " فن الرثاء عند شعراء ولاية كانو في القرن العشرين " .. في أطروحة لنيل درجة الماجستير ..

وكانت دراسته أكثر تخصصا من سابقيه وأبعد تعمقا ، وقد ساعده على ذلك اقتصار الدراسة على فن واحد من فنون الشعر وفي بيئة واحدة من بيئات نيجيريا المتباينة .. هذا فيما يخص نيجيريا .

أما في السنغال ، فقد كان للدكتور عامر صحب فضل سبق في جمع بعض التراث الشعرى العربي للسنغال بعنوان " الأدب السنغالي العربي " .

غير أن جمعه للنصوص كان مبتورا شديد النقص ،فقد غابت عنه كثرة كاثرة من النصوص التي حجبتها عنه المخطوطات التي لم تصل اليه يده فضلا من أنه لم يعن بتحقيق النصوص ودراستها فنيا ،ويكفيه فضل السبق .. ويعلم الله وحده كم بذلت من جهد في سبيل الحصول على المخطوطات التي قصرت دون الحصول عليها الأخوة الفضلاء من الباحثين السابقين .

هذا .. وقد واجهت صعوبات وعقبات في سبيل انجاز هذا البحث .. منها أن مادة الدراسة لهذا الموضوع لا يزال أغلبها مخطوطات متناثرة بين مكتبات أوربا وجامعات غربي أفريقيا وعلمائها المتناثرين في مدنها وقراها كما سبق أن أشرت .. فكان لزاما علي أن أجمع المواد من مظانها ، فكابدت في سبيل ذلك ثلوج أوربا في فصل الشتاء مثلة في بريطانيا وفرنسا ، كما عانيت نصب السفر بين قرى نيجيريا والسنغال من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال .. وكان حتما علي تحقيق النصوص أولا ثم دراستها ثانيا ،فكنت في هذه الدراسة محققا ودارسا في آن واحد . وقد استعنت بالله رغم وعورة الطريق فكان لي في ذلك جهد المقل مع بذل المستطاع .

وقد اقتضت طبيعة البحث الذى تسير فيه الدراسة في اتجاهين أحدهما تاريخي والآخر فني تحليلي للشعر ، أن أقسم الرسالة الى تمهيد وبابين رئيسيين وخاتمة .

أما التمهيد : فيتناول الجانب التاريخي عن " فجر الاسلام في غربي أفريقيا " ، ويرصد البحث فيه القضايا الآتية :

أ - الاشراقة الأولى للدين الحنيف على هذه المنطقة.
ب - مدى انتشار اللغة العربية في هذه البلاد في ظل الاسلام.
جـ - تشرف المسلمين من أهل المنطقة بدعوة الممالك الوثنية المجاورة الى الاسلام .
د - جهاد المعاندين منهم.
هـ - كفاح المستعمرين .

وأما الباب الأول : فيتناول " حياة الشعر العربي في غربي أفريقيا .

وانقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول :

يتناول الفصل الأول منه " نشأة الشعر العربي في غربي أفريقيا" معالجا القضايا الآتية :

أ - المناخ الثقافي الذى نشأ فيه الشعر العربي في غربي أفريقيا .
ب - حالة اللغة العربية في تلك الفترة .
جـ - أهم المؤلفات العربية التي كانت تدرس في المساجد والزوايا والخلوات .
د - أقدم النصوص الشعرية التي كانت متداولة بين طلاب العلم.
هـ - مراكز الاشعاع للثقافة العربية الاسلامية في المنطقة.

و يتناول الفصل الثاني منه " الجذور الفنية للشعر العربي في غربي أفريقيا معالجا القضايا الآتية :



أ ـ أثر الجاهليين في هذا الشعر .



ب ـ أثر شعراء الخضرمة والاسلام.

جـ ـ أثر شعراء بني أمية.

د ـ أثر المحدثين .

هـ ـ أثر شعراء الدول المتتابعة.

و ـ أثر شعراء العصر الحديث .

و يتناول الفصل الثالث منه " فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا" معالجا القضايا الآتية :

أ ـ الشعر الغنائي بأغراضه التقليدية من مدح ورثاء ووصف وفخر وهجاء وغزل بالاضافة الى الشعر الاسلامي متمثلا في جهاد الوثنيين والشعر الوطني ممثلا في كفاح المستعمرين.

ب ـ الشعر التعليمي بما يشمل من زهد ووعظ وارشاد ومنظومات علمية.

أما الباب الثاني : فموضوعه " شعراء غربي أفريقيا "
و يقع هذا الباب في ثلاثة فصول كذلك :

يتناول الفصل الأول منه " شعراء السنغال " مترجما لأبرز شعرائهم مع ذكر مختارات من أشعارهم.

و يتناول الفصل الثاني منه " شعراء نيجيريا " مترجما لأبرز شعرائهم مع ذكر مختارات من أشعارهم .

ويتناول الفصل الثالث منه " الملامح المميزة للشعر العربي في

غربي أفريقيا معالجا القضايا الآتيـة :

أ - أثر الروح الدينية على أشعارهم.

ب - الآفاق التي يستوحون منها صورهم وأخيلتهم.

جـ - أثر التكوين الثقافي في نسيج أشعارهم.

د - حظ أفكارهم من العمق الذهني والتأمل الفلسفي .

هـ - موسيقى أوزان الشعر الأثيرة في أشعارهم.

و - ملامح البيئة الأفريقية في هذا الشعر.

ز - كثرة استعمالهم للألفاظ الغريبة .

ثم ينتهي البحث بخاتمة أسجل فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

والحمد لله في الأولى والآخــــــــرة ،،،



((فجر الاسلام في غربي أفريقيا))

أطلقت كلمة أفريقيا " AERICA " قديما على الاقليم الذى يقابل الشمال الشرقي من الجمهورية التونسية حاليا . وكان معروفا باسم " ولاية أفريكا القنصلية لروما " وهو الذى عرب فيما بعد الى " أفريقيــة " ، أطلقه العرب في بداية الأمر على كل ما يلي اقليم طرابلس غربا ، فتحدد مدلول هذا اللفظ " أفريقية " مقتصرا على ما يلي طرابلس غربا حتى بجاية .

ثم أصبح يعني اقليم تونس (١) . وكان اللاتينيون في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد قد أطلقوا اسم " أفريكا " على القسم الذى خضع لنفوذ الفنيقيين من تونس الشمالية . وهو الجزء الذى كانت تقطنه قبائل " أفرى " ، والمقصود به الجزء الذى جعلته روما ولاية لها بعد تدمير قرطاجنة سنة ١٤٦ ق.م (٢) . ويرجع بعض الباحثين كلمة " أفريكا " الى أصل يوناني وأن " أفريكوس " مشتقة من اللفظ اليوناني " أفريكا " وهي جملة مكونة من حرف " آ " ويفيد النفي وكلمة " فريكا " وتعنى " البرد " أى البلاد التي لا برد فيها أوالبلاد الحارة ، (٣) ثم أصبحت التسمية تشمل بقية القارة المعروفة الآن بالقارة الأفريقية .

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندى جـ٥ ص ٩٩-١٠٩ ، الموسسة المصرية العامة ، وكذا Encyclopedia International p. 114

(٢) Encylopedia Britanica p.128 and Every man's encyclopedia p.118

(٣) Short Etymological dictionary & modern English origin p.8 , and : A latin dictionary p.69.

أما غربي أفريقيا الذى هو هدفنا في هذه الدراسة ،فهو جزء مما كان يعرف قديما عند المؤرخين المسلمين ببلاد السودان ، اذ أطلقوه على بلاد جنوبي الصحراء الكبرى ،كما أطلقوا على منطقة شمالي أفريقية والصحراء " بلاد البيضان " وكانوا يقصدون ببلاد السودان المنطقة العريضة جنوبي الصحراء الممتدة من المحيط الاطلسي في الغرب الى هضبة الحبشة في الشرق ، ومن الصحراء في الشمال الى الغابات الاستوائية في الجنوب .

والعرب أول من أطلق على هذه البلاد " بلاد السودان " مستوحية في ذلك لون بشرة السكان.

وقد قسم بعض الباحثين هذه البلاد الى ثلاثة أقسام رئيسة :

الاول : السودان الغربي ويشمل حوض السنغال وجمبيا وبركينافاسو (١) والنيجر الاوسط .

الثاني : السودان الاوسط ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد أى أنه يمتد شرقي نهر نيجر حتى الحدود الغربية للسودان الشرقي .

الثالث : السودان الشرقي ،وهو المعروف الآن بسودان وادى النيل ، ويشمل مناطق النيل وروافده جنوبي بلاد النوبة .. وكان يعرف هذا القسم عند العرب بين القرن التاسع والثاني عشر الميلاديين باسم " بلاد الزنج " وهي التسمية الغالبة عليه في تلك الفترة الا أن كلمة السودان كانت تشمله أيضا.(٢)

---

(١) فولتا العليا سابقا.

(٢) مملكة سنغاى في عهد الاسقيين ص ٥ ، عبد القادر زبادية ، طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .

أما غربي أفريقيا ،فيشمل السودان الغربي والأوسط ،أي المنطقة الواقعة بين بحيرة تشاد شرقا والمحيط الأطلسي غربا ،وتحدها من الجنوب المناطق الاستوائية ، ومن الشمال المناطق الجنوبية للصحراء وتقع بين خطي عرض ٩ و ١٧ درجة شمال خط الاستواء .

وقد كانت تربط بين شمالي أفريقية وغربيها علاقات قديمة تشهد لها أحداث التاريخ .. فقد وجدت عدة طرق للقوافل التجارية بين شمالي أفريقية الى غربيها عبر الصحراء الكبرى ، كانت بعض هذه الطرق من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر متجهة الى الجنوب فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل الى المراكز التجارية الرئيسة في غربي أفريقيا مثل " غانة " القديمة وتمبكتو وولايات الهوسا وكانم وبرنو وغيرها .. وقد تتصل بالصحراء ثم تتفرع وتتجه الى جهات مختلفة.

فالقافلة التي تبدأ من القاهرة تتجه أولا صوب النغرب الى أوجلة ومرزوق وهناك تتصل بقافلة أخرى من طرابلس فيتجه بعضها نحو الجنوب الى كانم " بواسطة بلما ، في حين أن بعض القوافل تستمر الى ولايات الهوسا عن طريق أهير.(١)

وهناك ثلاثة طرق رئيسة تسرب منها الاسلام الى غربي أفريقيا:

الأول : يبدأ من طرابلس مارا بفزان وكوار وينتهي في برنو داخل نيجيريا .

الثاني : يبدأ من تونس وينتهي في كانو .

الثالث : يبدأ من تافللت في المغرب ويتفرع فرعين أحدهما يمر

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجريا ص ٢ د/أحمد شيخو غلادنشي ،رسالة دكتوراه .

بسجلماسة و تغازة ، والآخر بتوات وأودغست . فيجتمعان في تمبكتو و منها شرقا الى " كانو ".

و هذه الطرق تدل على العلاقات التجارية القديمة التي كانت تربط بين شمالي أفريقية و غربيها ، تلك العلاقات التي وصفها الرحالة " بارت " بأنها أقدم مما يتصور (١) . و يذكر بوفيل أربعة طرق أخرى رئيسة كانت تربط بين الشمال والجنوب :

الأول : من سجلماسة الى وَلاَتَ ثم الى بلاد السنغال وأعالي نهر النيجر حيث الذهب .

الثاني : من غدامس الى بلاد الهوسا الغنية عن طريق غاط وأهير.

الثالث : من طرابلس الى برنو ونهر تشاد مارة بفزان و كوار .

الرابع : من قوريته (Cyrenica) الى وداى عن طريق كفره . (٢)

وقد تحدث مرفين هسكيت عن هذه العلاقات التجارية القديمة بين الشمال والجنوب مرجعا تاريخها التقريبي الى سنة ١٠٠٠ ق.م اذ وجدت منذ تلك الفترة عدة طرق تجارية كانت تصل المغرب والصحراء الغربي .

أما الطريق الأول فيمتد من المغرب الى الصحراء الغربي عبر موريطانيا الحالية الى نهر السنغال ، والفرع الشرقي لهذا الطريق

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢ ، د/ على أبوبكر ، طبعة مؤسسة عبد الحفيظ البساط - بيروت .

(٢) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ٣ .

يوءدى الى " كومبي صالح " عاصمة امبراطورية " غانه القديمة "
ويرجح أن يكون هو الطريق الذى استعمل في الغزوات العربية " الفتوحات الاسلامية " التي بدأت من جنوبي المغرب في القرن الثاني الهجـــرى الثامن الميلادى متوغلة في الصحراء وراجعة بكمية كبيرة من الذهب ،وأن هذا الطريق قل استعماله ذات يوم ثم أعيد الى الحركة التامة فـــي القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى عندما أنشأ البرتغاليـــون محطتهم التجارية في ودان .. وظل هذا الطريق مستعملا حتـــى نهاية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، وعندما فتـــح المسلمون شمالي أفريقية وربما في العهد الروماني بها كان الطريـــق الثاني من طرابلس الى " فزان " ، قد امتد من جنوبي غربي فـزان الى " تـدماكـت " ،ويمكن أن يكون قد امتد حتى منحنى النيجـر .. وكانت وسائل التنقلات المعتمدة في ذلك الوقت الثور والخيل قبل دخول الجمل بلاد الصحراء في القرن الثاني الميلادى . هذا ما يوءكده معظـم الموءرخين في شأن امتداد هذا الطريق حتى داخل الصحراء .

أما الطريق الثالث للصحراء المار " بغاو " وجنوب غربـــي أهـير الى واحات خرجـه ،فقد كان مستعملا قبل دخول الاسلام فـــي شمالي أفريقية ،وان كانت معرفة المدى الطويل له قبل الاسلام غيـــر موءكدة .. وكان مهجورا خلال القرن الثالث الهجرى التاسع الميـــلادى لخطورته .

ومهما يكن من أمر ،فان اتصالات شمالي أفريقية وغربيهـــا قد أعيدت من القرن الثامن الهجرى " الرابع عشر الميلادى " .. ويبدو أن الذهـــاب الى الشمال " فزان " أصبح ضروريا قبل اللحـــاق

بالطريق المؤدى الى مصر .. وفي القرن الحادى عشر الهجرى " السابع عشر الميلادى " فتح الطريق المسمى بـ " الطريق السوداني " من وادى النيل الأعلى عبر فنج ودافور وودای وامتد حتى برنو ،كما وجد طريق قديم آخر في الشرق من طرابلس الى كانم عبر فزان وواحات كوار .. ويؤكد " مرتين " أن هذا الطريق كان مستعملا خلال العهد القرطاجني في القرن الثالث قبل الميلادى ،وقد يكون قد امتد الى بحيرة تشاد في وقت ما قبل القرن السابع الميلادى " الأول الهجرى " و يمكن أيضا أن يكون مغلقا لفترة مؤقتة خلال الغزو العربي لشمال أفريقية (الفتح الاسلامي) في القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) غير أنه سرعان ما فتح من جديد واستمر في الاستعمال مع توقفات آنية حتى القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى).(١)

ومن مجموع ما سبق ، يتجلى مدى قدم العلاقات التجارية بين شمالي أفريقية وغربيها ،ومنها نتعرف على الخطوات الأولى لدخول الاسلام في غربي أفريقيا الذى هو هدفنا في هذا التمهيد ..

لقد كان قيام حركة المرابطين ثم توغلهم في الصحراء تحت قيادة أبي بكر عمر اللمتوني (٢) ،حدثا شديد الأهمية جعل الاسلام تحت الأضواء في تاريخ غربي أفريقيا ، اذ لم يكن المرابطون أول من بشر بالاسلام في هذه البلاد ،فقد سبقهم الى ذلك عدة محاولات هيأت

---

(١) M. Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.322.

(٢) هو أبو بكر بن عمر اللمتوني أحد زعماء المرابطين توفي سنة ٤٨٠هـ.

للاسلام أن يدلف بخطى بطيئة في غربي هذه القارة في مدة لا تقل عن مائتي عام.

أما متى تسرب الاسلام الى غربي أفريقيا فتلك قضية ظلت مجهولة حتى ألقى عليها بعض الضوء الفلكي العربي الفزارى (١) في القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) (٢)، فقد كان يعرف الدولة السودانية " غانه " كمصدر للذهب وما دام عاش فترة ما بين ١٣٢ - ١٨٢ هـ / ٧٥٠ - ٧٩٩ م، فان ذلك يشير الى أن التجار المسلمين كانوا ضمن أولئك الذين كانوا على اتصال مبكر بداخل السودان في بداية القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) أو بعيد ذلك .. ويعتبر الفزارى أول كاتب عربي مسلم أشار الى ذهب السودان كما ألقى الضوء على هذه الحقيقة الجغرافي العربي المسلم ابن الفقيه المتوفى سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٦ م (٢)، حيث تحدث عن طرق القوافل التجارية عبر الصحراء من غانة الى مصر عن طريق " غاو" مدينة القوافل في منحنى النيجر .. وقد ظل هذا الطريق مهجورا من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ولكنه كان مستعملا لمدة طويلة قبل هذا الهجران.

---

(١) هو ابراهيم بن حبيب بن سمرة أبو عبدالله الفزارى وهو الذى يقول فيه جعفر بن يحيى : لم ير أبدع في فنه من الكسائي في النحو والأصمعي في الشعر والفزارى في النجوم " معجم الأدباء لياقوت جـ ١٧ ص ١١٩-١٢٠.

(٢) هو أحمد بن اسحاق بن ابراهيم الهمذاني ويعرف بابن الفقيه " أبو عبدالله " أديب عالم بتقويم البلدان ومن تصانيفه " كتاب البلدان " معجم المؤلفين جـ٢ ص ٨٠.

وربما قبل فتح المسلمين لمصر ، فمن الجائز اذن أن يكون ثمة تأثير اسلامي قادم من مصر الى السودان الغربي منذ القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) ،والذى ينبغي أن نلاحظه هنا أنه ليس هنالك دليل قاطع على أن هذا التأثير في القرن الأول الهجرى كان ثابتا . ولكن هناك احتمالات لحصوله في هذا الوقت المبكر. فمعلومات الجغرافي المسلم المهلبى (١) المتوفى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م ، التي تشير الى أنه كان لمدينة " غاو " ملك مسلم وكان فيها مسجد في عهده، تؤكد هذا الاحتمال اذ لا يعقل أن هذا كله قد تم في ليلة واحدة ، وكذلك ما ذكره البكرى (٢) من وجود حي اسلامي في " غاو " وأن ملك هذه المدينة كان مسلما (٣) .. وتلك حقيقة أكدها المؤرخ الأفريقي السوداني أحمد بابا التمبكتي ، فقد ذكر أنه كان يوجد اثنا عشر مسجدا في مدينة " غانة " " كومبي صالح " حوالي عام ٦٠ هـ-٦٧٩ م ، وأن امبراطورية أودغست الاسلامية وهي التي كونها " السوننك " احدى فروع " الماندنجو " قامت بدور كبير في نشر الاسلام منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ، كما ذكر ابن حوقل (٤) أن ملك

---

(١) هو حسين بن أحمد المهلبي له كتاب " المسالك والممالك " المشهور بالعزيزى ألفه للعزيز بالله الفاطمي صاحب مصر ونسبه الى اسمه " معجم المؤلفين جـ٣ ص ٣١٣ .

(٢) هو أبو عبيدالله بن عبد العزيز البكرى ولد سنة ٤٣٢هـ وتوفي سنة ٤٨٧ هـ ومن تصانيفه كتاب المسالك والممالك وكتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب .

(٣) M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.19

(٤) هو محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادى الموصلي " أبوالقاسم" رحالة جغرافي . توفي بعد سنة ٣٦٧هـ ومن آثاره " المسالك والممالك" معجم المؤلفين جـ١١ ص ٥ .

أودغست يتبوتان ، كان شديد الحماس في نشر الاسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب.[١]

وكان للفتح الاسلامي لبلاد المغرب أثره الكبير في دفع المسلمين شمالا حتى الأندلس وفرنسا. وجنوبا حتى بلاد السودان . ورووا أن حملة اسلامية وصلت في عام ١٠٢هـ - ٧٢٠ م الى السنغال وعادت بكميات كبيرة من الذهب ،وكانت أصلا موجهة لمطاردة البربر.[٢]

كما ينقل مرفين هسكيت عن ابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ ٨٧١م ، أن حملة قد نفذت في القرن الأول الهجرى " السابع الميلادى " من جنوبي المغرب الى داخل السودان وقد قدر لها النصر المظفر ،وأخذت كمية كبيرة من الذهب ويبدو أنه خلال هذه الحملة أسر المغيرون جوارى من زناتة ،اللواتي رجعوا بهن الى بلادهم[٣] .

ويروى ابن خلدون حملة عقبة بن عامر بن عبدالقيس الى السودان قائلا : (فقد فتح عقبة بن عامر بن عبد القيس باسم عمرو بن العاص مدينة غدامس التي كانت بوابة النيجر الشرقية سنة ٦٣ هـ - ٦٦٣ م ،وفي السنة الموالية افتتح ودان وكوار في السودان وأثخن في تلك النواحي ،وكان له جهاد وفتوح ".[٤]

---

(١) دولة مالى الاسلامية ص ٤٧ ،د/ ابراهيم على طرخان ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨.

(٣) M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.19

(٤) بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٣٢ ، محمد المغربي ،طبعة مؤسسة الغليج للطباعة والنشر بالكويت .

ويذكر ابن عذارى المراكشي[١] أن عقبة انحدر في حملته الثانية الى السودان من بلاد المغرب ووصل الى غانة عن طريق ودان وبنى مساجد فيها .[٢]

واعتمادا على مقارنة بين المصادر يتبين أن عقبة قام بحملتين الى السودان احداهما من تونس ، والثانية من المغرب ، ولا نعثر في أى مصدر على أخبار قتال أوحصار في الحملتين معا مما يدل على استجابة الأفارقة لدعوة الدين الجديد عن طواعية واقتناع ، وهو ما علل له بعض الباحثين بقوله : ونحن نرجح أن وجود قبائل بربرية وفيرة ومتنفذة في الصحراء والسودان بالاضافة الى خصائص الدين الجديد وروحه التحريرية ، خلقا جوا مناسبا لوصول الفاتح العربي الى أهدافه الروحية . والثابت أن حملة عقبة هدت أغلب قبائل البربر وبعض قبائل غانة الى الدين الجديد بالقدر الذى فتحت أعين حكام شمال أفريقيا على امكانيات السودان[٣] ، كما يذكر في معرض حديثه عن المدن ذات الأهمية التجارية في امبراطورية غانة مدينة " هنيشين " التي ضمت جالية عربية هي بقايا الجنود الذين سبق لخلفاء بني أمية في الأندلس أن وجهوهم للسودان فتخلفوا وتزوجوا سودانيات[٤] . غير أنه لا يذكر مصدره القديم في هذه الرواية وهي لا تتفق ورواية البكرى التي يقول فيها :

---

(١)

(٢) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، جـ١ ص٢٧ تحقيق كولا وبروفينصال .

(٣) بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص٣٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٥ .

" وببلاد غانة قوم يسمون بالهنهيين من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية أنفذوه الى غانة في صدر الاسلام وهم على دين أهل غانة الا أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهم بيض حسان الوجوه (١) ".

ويتضح لنا اختلاف الروايتين القديمة والحديثة ففي حين تنفي الرواية القديمة المصاهرة والمناسبة بينهم وبين السودانيين وان تحولوا الى دينهم يثبت الباحث الحديث المصاهرة ويتوقف عن أحوالهم الدينية، ونحن لا نستطيع أن نرجح رأى الدارس الحديث وان كانت قريبة من العقل لأنه لم يزودنا بمصدر قديم نعتمد عليه. وعلى أى حال ،فان كثيرا من المراجع الغربية تتحدث أيضا عن توغل جيش عقبة بن نافع أفريقية الغربية واحتلاله بلاد التكرور وغانة وان أبدى بعضهم تحفظه وعدم ارتياحه ازاء الروايات الناطقة بذلك. (٢)

ويصف لنا البكرى غانة قائلا :

" ومدينة غانة مدينتان سهليتان ، احداهما المدينة الاسلامية ، التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا احداها يجمعون فيه ولها الأئمة والمؤذنون وفيها فقهاء وحملة علم ،وحواليها آبار عذبة وعليها يعتملون الخضروات (٣) .. كما ذكر القلقشندى اسلام أهل غانة بقوله " وكان أهلها قد أسلموا في أول الفتح ". (٤)

----

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٧٩ للبكرى - دى سلان - الجزائر.

(٢) مثل الرحالة الانجليزى بارت في كتابه Travels in Central Africa Vol. IV p. 580

(٣) المغرب للبكرى ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٤) صبح الأعشى جـ٥ ص ٢٨٤ وهو أحمد بن عمر.

ومجمل القول أن الأدلة على دخول الاسلام وانتشاره في السودان الغربي خلال هذه الفترة المبكرة أى من سنة ٢٦ هـ - ٦٤٧ م وحتى سنة ٤٦٩ هـ - ١٠٧٦ م التي كانت نقطة تحول اسلامي وأصبحت واضحة للعيان .. كانت هذه الأدلة تعتمد أولا على الروايات الشفوية المتواترة عن التجار المسلمين والرحل الذين كانوا يجوبون تلك المناطق للتجارة أو الاطلاع ، الأمر الذى لا يترك مجالا للشك أمام الباحث للاعتقاد بأن التأثير الاسلامي في السودان الغربي قد بدأ بعيد انتصار المسلمين واستيلائهم على مصر .. وان كان لا يمكن تقدير مدى هذا التأثير .

وفي وصف البكرى لمدينة غانة والمساجد الموجودة فيها وكذا تأكيد مؤرخ بلاط صنغاى أحمدبابا التبكتي ما يرشح هذه الحقيقة من أن الاسلام دخل هذه المنطقة منذ فجر تاريخه اذ لا يعقل أن تكون تلك المدينة الاسلامية التي تضم اثنى عشر مسجدا في تلك الفترة المبكرة قد ظهرت الى الوجود وقامت على ذلك الشكل المتطور وازدهرت بتلك المساجد الاثني عشر بين عشية وضحاها ، أضف الى ذلك أنها كانت ابان تلك الفترة المبكرة موطنا لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم . كما كانت في الوقت نفسه كعبة علم يقصدها طلبة العلم وينسلون اليها من كل حدب وصوب .. على أن الفضل في ازدياد انتشار الاسلام في السودان الغربي يرجع الى الجهود المضنية التي بذلتها الدول والممالك الاسلامية التي قامت في تلك المنطقة ،ولعل أول مملكة اسلامية يسجل التاريخ مساهمتها في هذا المضمار هي مملكة صنهاجة الجنوب أو اللثام .. فقد اتحدت هذه القبيلة مع قبائل لمتونة وجدالة

في القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) للعمل على تنظيم تجارة القوافل عبر الصحرا • فيما بين أقصى الشمال حيث تنزل قبيلة ولاته ، وأقصى الجنوب حيث تقع مملكة غانة .. الا أن هذا التحالف لم يدم طويلا اذ وهنت أواصره فتفرقت كلمة القبائل البربرية في حين كانت الفرصة مهيأة أمام مملكة غانة القديمة للازدهار والسيطرة على بعض أجزاء الصحراء التي تؤمها قوافل العرب والبربر .. فلما دخلت صنهاجة في نعمة الاسلام في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) تسرب الدين الحنيف عبر الصحراء وعم المراكز التجارية الموجودة هناك واتسمت مدينة " أودغست " التي كانت المركز الأمامي لتجارة غانة على حافتها الشمالية - بالطابع الاسلامي - وتحت لواء هذا الدين الذى يدعو الى الاعتصام بحبل الله استطاعت قبائل صنهاجة أن تكوّن تحالفا جديدا تزعمته لمتونة بفضل الجهود التي بذلها الزعيم اللمتوني " تيولتان بن تكلان " الذى شرح الله صدره للاسلام .. وكان الهدف من هذا التحالف هذه المرة هو الجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام في السودان الغربي (١) ..

ولأهمية مملكة غانة السياسية والاقتصادية والعسكرية رأى الحلف أن يوجه سهامه اليها وخاصة أنها كانت أقرب مملكة وثنية اليهم ، أضف الى ذلك أن الضعف بدأ يدب في عظام هذه المملكة السودانية الفتية بعد بلوغها أوج عزها وقوتها الاقتصادية والعسكرية ، وبالقضاء على هذه المملكة العظيمة - التي وصفها ابن خلدون بقوله :" كانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك " - (٢)

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ١٩ .

(٢) العبر جـ٦ ص ٤١٢ ، ابن خلدون طبعة دار الكتاب اللبناني .

يصبح الطريق ممهدا لفتح الممالك السودانية الأخرى ليسرى الاسلام بين قبائلها الوثنيين .. فجهزت صنهاجة جيشا جرارا لغزو المملكة فتوجه الجيش صوب مدينة "أودغست" عاصمة غانة ، وما أن سمع ملك غانة خبر الجيش الصنهاجي حتى جهز جيشا مماثلا لقتاله دفاعا عن مدينته الحيوية تجاريا والتي تمثل مصدرا اقتصاديا هاما لا يمكن للمملكة الاستغناء عنه .. فتقابل الجيشان في معركة أسفرت عن انتصار الجيش الصنهاجي .. ولم يكن لينتصر على غانة مستوليا على مدينة أودغست لولا ما وقع لغانه من سوء حظ ، اذ أغار عليه شعب "صومو" الذى تقع دياره الى الجنوب من ديار "غانة ، فطعنها من الخلف طعنة غير متوقعة فكان على المملكة أن تحارب عدوين شرسين في آن واحد .. فقد أغار عليها صوصو من الجنوب في الوقت الذى أغار عليها الملثمون من الشمال (١) ، فسقطت مدينة أودغست أمام الملثمين بفضل ما قام به شعب "صوصو" من دعم لهم اما ميلا الى الاسلام أوكراهية لغانة لسيطرتها على الممالك السودانية الأخرى أوعلى مدينة أودغست التي تمثل مركزا تجاريا هاما تمر به صادرات أفريقيا الغربية ووارداتها عبر الصحراء الكبرى .. واتخذت صنهاجة مدينة أودغست عاصمة لمملكتهم ، ومنها أخذوا ينشرون الاسلام في المنطقة الواقعة شمالي نهر النيجر .. ووصف ابن خلدون هذه المملكة بأنها كانت مسيرة شهرين في مثلها . كما وصف ملكها "تبولتان" بأنه كان يركب في مائة ألف نجيب . (٢)

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢٠ .

(٢) العبر جـ٦ ص ٣٧٢ .

وبعد وفاة الزعيم اللمتوني استمر الملك في اعقابه حتى عام ٣٠٦هـ حين تبدد شمل الحلف وتفرقت قبائل البربر (١) وانتهزت غانه فرصة هذا التفرق لبسط نفوذها من جديد على أودغست ،الا أنها لم تقدر على استرداد جميع أملاكها السابقة ،بعد أن استقر قبائل الملثمين فيها فاكتفت بالسيطرة على المدينة التجارية الهامة ،ولا شك أن ذلك يكفل لها التحكم في طريق التجارة بين المغرب والسودان وهو ما يدر عليها أرباحا طائلة وذلك هو المبتغى .

ولم يدم عامل الفرقة بين الملثمين طويلا ،فقد استطاعت لمتونة بفضل جهود الأمير بروتان وبسنو" أن تلم شعث الملثمين مرة أخرى للهجوم على أودغست لتقصى عنها سلطة غانة وتحولها الى عاصمة لها مرة أخرى ،وتم لها ذلك عام ٣٥٠هـ .

غير أن لهيب الصراع ظل يتطاير شرره بين غانة وبين الملثمين فما كانت غانة لتهدأ ثائرتها ما لم تسترد مدينة أودغست التي تعتبر قضيتها قضية حياة أو موت ،وما لبثت أن استردت المدينة مرة أخرى وتفرقت قبائل الملثمين ..

وهكذا ظلت مدينة أودغست تحت سيطرة غانة حتى استولى عليها المرابطون في القرن الخامس الهجرى " الحادى عشر الميلادى " فردوها الى الملثمين ..

فقد قدر ليحيى بن ابراهيم شيخ قبيلة جدالة أن يؤدى فريضة الحج مع بعض الصنهاجيين عام ٤٥٦ هـ / ١٠٣٥م اثر رحلته تلك التي أراد من ورائها أن يستنير ويستزيد من تحصيل العلم بعد أن ضاق

---

(١) العبر جـ٦ ص ٣٧٢ .

ذرعا بما تعثر فيه قومه من الجهالة وسوء الفهم لمبادئ الاسلام ،فعهد بأمور القبيلة الى ابنه وأخذ يتجول في بلاد المغرب طلبا للمعرفة حيث وقف على أصول الاسلام القويمة فعقد العزم على أن يذيعها بين الملثمين . وبعد عودته من رحلة الحج أدرك أنه لا يستطيع مباشرة هذه المهمة الشاقة بمفرده لانشغاله بأمور القبيلة .

ومن هنا رأى ضرورة البحث عن فقيه يعلم قومه الاسلام ليخلصهم من الاعتقادات الخاطئة ، فتوجه صوب القيروان المركز الاسلامي العام. حيث أحس بالبون الشاسع بين البيئتين بيئة المغرب الأقصى الزاخرة بالحياة العقلية الرفيعة وبيئة الصحراء التي ترتضخ في الجهل فاتصل بشيخ المالكية في القيروان أبو عمران الفاسي ملتمسا منه انتداب تلميذ له يرجعون اليه في نوازلهم وقضاياهم الدينية .. وحرصا من الشيخ على ايصال الخير اليهم وجههم الى تلميذه " وجاج بن زلو اللمطي " وانتدب لهم هذا الأخير تلميذه الفقيه الورع المجاهد المقدام " عبدالله بن ياسين بن مكو الجزولي " فاستجاب لهذه الدعوة وكرس جهده لهداية هؤلاء الناس يعلمهم القرآن ويقيم لهم الدين.. (١) الا أن طابع التشديد الذى انطبع به منهج عبدالله بن ياسين قد نفر القوم عنه فقرر أن يهجرهم الى جزيرة على ضفاف نهر السنغال بقصد الانقطاع لله والسياحة مستصحبا يحيى بن ابراهيم وسبعة من رجال جدالة .(٢) .. غير أن البربر الذين أعرضوا عنه لعنفه قد

---

(١) العبر ج ٦ ص ٣٧٤.

(٢) تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ص ٢٢٧-٢٢٨ ،للوزير الغرناطي ،لسان الدين بن الخطيب ،طبعة دار الكتاب .

شعروا بوخزة الضمير فجاءوا اليه يلتمسون منه العفو مبدين استعدادهم التام لتلقي تعاليمه الدينية وتنفيذ أوامره ومن ثم اجتمع حول عبدالله ابن ياسين في رباطه الذى اتخذه في تلك الجزيرة زهاء ألف شخص سماهم المرابطين.(١) وبعد أن اكتمل له هذا العدد الضخم من الرجال الأقوياء بايمانهم قال لهم عبدالله بن ياسين : " ان ألفا لن تغلب عن قلة وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه وحمل الكافة عليه فاخرجوا بنا لذلك فخرجوا وقتلوا من استعصى عليهم من قبائل لمتونة وكدالة ومسوفة حتى أنابوا الى الحق .. وأذن لهم في أخذ الصدقات من أموال المسلمين وسماهم المرابطين.(٢)

ولعل أهم ما قام به المرابطون خدمة للاسلام في السودان الغربي هو هجومهم على مدينة أودغست التي كانت "غانة" قد استردتها من الملثمين . فقد استطاع المرابطون أن ينتصروا على " غانة " بعد معركة استبسل فيها الفريقان واستشهد فيها قائد المرابطين " يحيى بن عمر" وانتهت باستيلاء المرابطين على " أودغست " وكان ذلك سنة ٤٤٧هـ - ١٠٢٦م ،وقد علل بعض المؤرخين هزيمة غانة بأن ملك التكرور الذى شرح الله صدره للاسلام قد حالف المرابطين وخاض غمار الحرب الى جانبهم.(٣)

أما " غانة " فمن المعروف أنها كانت أكبر امبراطورية أفريقية قامت بغربي أفريقيا ،وكان أول سلطانها هو " تمغ " وان سلطة غانة قامت قبل البعثة المحمدية بزمن طويل ، تملك في أثنائه اثنان وعشرون ملكا ثم تملك بعدها اثنان وعشرون آخرون .(٤)

---

(١) تاريخ الدول الاسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، ص ٣٢ ،د/ عبد الرحمن زكي ،المؤسسة العربية الحديثة .

(٢) العبر ج٦ ،ص ٣١٨ .

(٣) راجع الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢٥ .

(٤) راجع تاريخ الفتاش ص ٤١ تحقيق هوداس ونوا - باريس ١٩٦٤م .

وكان حكامها الأوائل بيضانا في الأصل [١] ، وان كانت الأصول التي يرجعون اليها لا زالت لغزا أعيا الباحثين حله ولا يزالـــون مختلفين .

واشتهرت هذه الامبراطورية بعظمة قوتها العسكرية والاقتصادية وبرفاهـــة ملوكها وثرائهم وبذخهم .

على أن دولة ملوكها البيض سقطت في نهاية القرن الثانـــي الهجرى (الثامن الميلادى) حيث قامت أسرة " السوننك " بثورة ضدها وتأسست دولتهم على أنقاضها .

وفي زوال دولة الحكام البيض يقول أحد المؤرخين " :

" ثم أفنى الله ملكهم وسلط أراذلهم على كبرائهم .. وقتلـــوا جميع أولاد ملوكهم حتى يبقروا بطون نسائهم ويخرجوا الأجنة و يقتلونهم" . [٢]

وبعد أن تبدد شمل الحكام البيض اتجه بعض فلولهم مـــع أنصارهم الى بلاد " التكرور " فاختلطوا هناك بالتكاررة فلم يعودوا بيضـــا كما كانوا بل أصبحوا أشبه بالزنوج منهم بالبيض .

ويروى أنهم نجحوا في التحكم السياسي في منطقة " تكرور " فظلوا هناك أصحاب النفوذ حتى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) عندما ثارت ثائرة" التكاررة " فسحبوا بساط الحكم مـــــن تحتهم وطردوا هؤلاء المغتصبين الدخلاء .

---

(١) تاريخ السودان للسعدى ص ٩ نشر هوداس - باريس ١٨٩٨م.
(٢) تاريخ الفتاش ص ٤٢ .

ويذكر أن هؤلاء البيض هم الذين اشتهروا فيما بعد باسم " الفلانيين " . وقد حكم خلفهم من الأسرة السوننكية امبراطورية " غانة " حتى مطلع القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) باستثناء الفترة التي استولى خلالها المرابطون على عاصمة " غانة " من عام ٤٩٧ - ٤٩٩ هـ / ١٠٧٦ - ١٠٧٨ م . وفي عهد هذه الأسرة بلغت الامبراطورية أوج قمتها وذروة مجدها وازدهرت اقتصاديا وعسكريا .(١)

وقد اشتملت هذه الامبراطورية على منطقة واسعة من الحدود المتاخمة لجنوبي الصحراء الكبرى شمالا وامتدت جنوبا الى مناجم الذهب في " بمبوك " ومن نهر النيجر في الشرق الى المحيط الأطلنطي غربا .

هذه المنطقة تشكل حاليا جزءا من جمهورية موريتانيا ، وكلا من جمهوريتي السنغال ومالي .(٢)

وقد دان لهذه الامبراطورية بالولاء عدد كبير من ملوك السودان الغربي ابان عزها وقوة سلطانها ، ولا نبلغ حد الشطط اذا قلنا ان غالبية ملوك هذه المنطقة كانوا يدينون لها بالولاء التام ، ويؤيد ذلك قول ابن خلدون : " كانوا أعظم أمة وأضخم ملك ".(٣)

---

(١) امبراطورية غانا الاسلامية ص ٢٧ .

(٢) P.B. Clarke, West Africa and Islam p.37.

(٣) العبر جـ ٦ ص ١٤٩ .

ورغم المعارك العديدة التي خاضتها " غانة " مع دولة صنهاجة اللثام ودولة المرابطين الا أن هاتين الدولتين لم تستطيعا أن تحملا ملوك " غانة " على الاسلام عنوة . والسبب في ذلك يرجع الى أنه لم تقدر أية واحدة منهما على سحق قوة " غانة " العسكرية والاستيلاء على جميع أراضيها ، وقد رأينا فيما سلف عن الدولتين الصنهاجية والمرابطية كيف أن كل واحدة منهما لم تزد على الاستيلاء على مدينة " أودغست " عاصمة " غانة " وكيف أن " غانة " لا تلبث أن تستردها وان كانت الدلائل تشير الى أن " غانة " لم تستطع أن تسترد عاصمتها الحيوية بعد استيلاء المرابطين عليها عام ٤٨٨ هـ / ١٠٦٧م .

وهاهو ذا البكرى يصف غانة وملوكها في العصر الذهبي ، فيقول :

" ان اسم ملك " غانة " في سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٣٩م " تنكامينين" الذى ولي سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٣٤م ،وكان اسم الملك قبله " بسي " الذى ولي وهو ابن خمس وثمانين سنة ،وكان محمود السيرة محبا للعدل مرشدا للمسلمين ". (١)

أما عن عاصمتها ،وهي مدينة " أوكار" التي تحول اليها الملك بعد سقوط " أودغست " فيقول فيها " ومدينة " غانة " مدينتان احداهما المدينة التي يسكنها المسلمون ،وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ،أحدها يجمعون فيه . ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون ، وفيها فقهاء وحملة علم .. ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بينها متصلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط" (٢)

---

(١) المغرب ص ١٧٥ .

(٢) المصدر نفسه .

ورغم وثنية الملك الا أنه كان يحترم المسلمين ويكرمهم و يتخذ منهم بعض خاصته ،وآية ذلك ابتناؤه مسجدا في مدينته يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين ، يقول البكرى :

" وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس الحكم ".

وفي تصوير البكرى للحياة الاجتماعية ما لا يبقى مجالا للشك في أن الاسلام قد انتشر في ربوع الامبراطورية رغم تمسك الملك نفسه بالوثنية . وليس أدل على ذلك من كون " تراجمة الملك من المسلمين وكذا صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه ".

ويصور البكرى الميزة التي كان يتمتع بها المسلمون تحت مملكته دون غيرهم . وتلك الميزة في التقاليد المرعية في السلام على الملك فيقول : " فاذا دنا أهل دينه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤسهم فتلك تحيتهم له ،وأما المسلمون فانما سلامهم عليه تصفيق باليدين ". (١)

وهنا يجدربنا الرد على المؤرخ الغربي في زعمه الكاذب بأن ملوك " غانة " قد حملوا على الاسلام عنوة عند استيلاء المرابطين على " أودغست ". (٢)

وهو زعم يفتقر الى دليل و يستند على أساس واه .. اذ أنه لو كان

---

(١) يراجع كتاب المغرب ص١٦.

(٢) Hoben : The Mohammadan Emirates p.29.

خروج " أودغست " من أيديهم بحطهم على اعتناق الاسلام لاعتنقوه من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، حين استولى الزعيم اللمتوني " تبولتان بن تيكلان " على المدينة للمرة الأولى ، ولكنهم لم يسلموا بسل حولوا عاصمتهم الى " أوكار " التي تقع على مسافة خمسة عشر يوما في الجنوب ،فاذا كان المرابطون لم يزيدوا على الاستيلاء على " أودغست " فليس هنالك ما يحمل ملوك " غانة " على اعتناق الاسلام لأنهم لم يفقدوا الا جزءا صغيرا من مملكتهم .. وان كان حيويا جدا من الناحية الاقتصادية للدولة (١) . ومن الصعوبة بمكان تحديد الوقت الذى اسلم فيه ملـــوك " غانـة " وذلك لعدم تحديده في المراجع التي بأيدينا .

فالزهرى الذى كان كتابه بعد كتاب البكرى يذكر أن ملوك " غانة " كانوا مسلمين في القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى. (٢)

والادريسي الذى كتب بعد أن أسلموا تحدث عن كونهم مسلمين فقط ولم يشر الى الوقت الذى أسلـموا فيه. (٣)

وقد بدأ الضعف يسرى في أواصر مملكة " غانة " منذ هزيمتهـا على أيدى المرابطين ومنذ انفلت من يدها زمام مدينة " أودغست " ذات الحيوية الاقتصادية، والتي تمر بها صادرات وواردات السودان الغربي من ذهب وقطن وجلود وصمغ وعاج وعسل وذرة الى أقطار شمالي أفريقية .

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٠ .

(٢) نقلا عن كتاب: P.B. Clark West Africa and Islam p.18.

(٣) الشريف الادريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ص ٦ (ليدن ١٨٩٤) .

وبفقد هذه المدينة فقدت " غانة " أكبر مورد من مواردها .. وبتضاؤل اقتصاديات الدولة أخذ الضعف يدب في عظامها شيئا فشيئا حتى أنهى بها الحال الى سقوطها عام ٦٦١ هـ/ ١٢٤٠م على يد ملك صوصو الذى أغار عليها عدة مرات وأخيرا تم له الاستيلاء على العاصمة " أوكار ".

ومع أن هذا الملك لم يستطع أن ينشيء مملكة كبيرة بتحطيم مملكة " غانة " فانه مهد الطريق لقيام دولة " مالي " التي قامت بدور بارز في نشر الاسلام في السودان.(١)

وهنا يتحتم علينا أن نؤكد حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل ، وهي أن أهمية هذه المملكة تتركز في أمرين اثنين ساعدا على انتشار الاسلام في كثير من بلاد أفريقيا الغربية وهما :

أولا : عدم صد هذه المملكة رعاياها عن اعتناق الاسلام وترك الحرية الكاملة لهم لممارسة شعائرهم الدينية ومنح المسلمين بعض الامتيازات التي لا يتمتع بها الوثنيون الذين هم على دين الملك.

ثانيا : ما يذهب اليه عدد كبير من المؤرخين من أن حكام هذه المملكة هم الأصل للشعب الفولاني الذى قام بدور كبير في نشر الاسلام والثقافة العربية في كثير من بلاد أفريقيا الغربية.(٢)

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

أما " مالى " أو " ملّ " كما تسمى أحيانا ، فهو الاسم الذى أطلق على المملكة التي أسسها قبائل " السوننك " أو " المالنك " في منحنى النيجر .

وكانت قديما تحت حكم أسرة " كيتا ".

ويحيط الغموض تاريخ نشأتها لخلو المصادر المعتمدة في تاريخ السودان الغربي منه.

وكانت ذات يوم جزءا من امبراطورية " غانة " ، وان كانت تتمتع باستقلال ذاتي.(١)

وكان من بين ملوكها ، ملك أسلم على يد شيخ طيب اثر محنة كادت تفنى البلاد والعباد .. ولكنها انجلت بفضل دعاء هذا الشيخ المسلم .. ولنترك المجال للبكرى كي يحدثنا عن هذا الحدث الجليل :

" عرف ملك " مالي " بالمسلماني لأنّ بلاده أجدبت عاما بعد عام ، فاستسقوا بقرابينهم من البقر كادوا يفنونها ، وكان عندهم ضيف من المسلمين يقرىء القرآن ويعلم السنة . فشكا اليه الملك ما دهمهم من ذلك ، فقال لهم :

أيها الملك ، لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الاسلام كلها ، لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك. وأن تعم الرحمة أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناوأك .

M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa (١) p.28.

فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته ،وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه . وعلمه من الفرائض والسنن ما لا يسع جهله ثم أمهله الى ليلـــة جمعة ، فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا وألبسه ثوب قطن عنده ، وبرزا الى ربوة من الأرض ،فقام يصلى والملك عن يمينه يأتم به . فصليـــا من الليل ما شاء الله ، و" الشيخ " يدعو والملك يؤمن ،فما انفجـــر الصباح الا والله قد أعمهم بالسقي . فأمر الملك بكسر الدكاكيـر " أى الأصنام " وأخرج السحرة من بلاده . وصح اسلامه واسلام عقبـــه وخاصته، وأهل مملكته مشركون فوسموا ملكهم منذ ذلك الوقت بالمسلماني". (١)

تلك هي قصة اسلام أول من أسلم من ملوك " مالي ".

ومع أن البكرى لم يذكر لنا اسم هذا الملك ولا اسم العالم المسلم الذى كان له الفضل بعد اللّه في اسلام الملك ،الا أن وجود داعية مسلم ينهض بأعباء الدعوة الى الله ببلاد هذا الملك يؤكد لنا أن الاسلام لم يكن غريبا في " مالي " أثناء هذا الحدث .

ولكن القلقشندى يذكر اسم أول من أسلم من ملوك " مالي " ، فيقول :

" وكان ملوك " مالي " قد دخلوا في الاسلام منذ زمن قديـــم وأول من أسلم منهم ملك اسمه " برمندانه " وحج بعد اسلامه فاقتفـــى به في الحج من جاء بعده من الملوك ". (٢)

---

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٧٨.
(٢) صبح الأعشى جـ٥ ص ١٩٣.

أما المقريزى فيقول : " ويقال ان أول من أسلم منهم ملك اسمه " سرمندانه " ويقال " برمندانه ".(١)

وتميز ابن خلدون بالدقة القصوى عندما تحدث عن اسلام أهل " مالي " وملوكها فقال : " .. ودخلوا في دين الاسلام منذ حين من السنين و حج جماعة من ملوكهم وأول من حج منهم " برمندار" وسمعت في ضبطه " برمندانه ".(٢)

اذ لا يعني بالضرورة أن يكون أول من حج من ملوكها أول من أسلم منهم . و خاصة أن هناك رواية شفوية مؤداها أن مؤسس أسرة الترووييين في حكم " مالي " واسمه " منسا نوفن تراورا " قد اعتنق الاسلام .. ولربما كان هذا الملك أو غيره ممن سبقه أوممن جاء بعده هو المعني في عبارة البكرى .(٣)

و مهما يكن من أمر ، فان الاسلام في هذه المملكة قديم قدم تاريخ دخوله في السودان الغربي . وتعد مملكة " مالي " أقوى وأغنى الممالك السودانية التي ظهرت في السودان الغربي ، و يميزها عن غيرها ذلك الدور الرائد الذى نهضت به من أجل توحيد القبائل الزنجية داخل ولايات ،وكذا الدور البارز الذى اضطلعت به من أجل نشر الاسلام والدعوة له في جميع بلاد المنطقة .(٤)

---

(١) الذهب المسبوك ص ١١٠ للمقريزى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٢) العبر ج٦ ص ٤١٣ .

(٣) راجع دولة " مالي " ص ٥٢ .

(٤) دولة " مالي " ص ٢٥ و The Development of Islam in West Africa, p.29.

وقد مرت هذه المملكة بمراحل متعددة بين مد وجزر ولكن تاريخها الذهبي يبدأ بتاريخ مؤسسها الحقيقي " سندياتا " أو " مارى جاطه" سنة ٦٥١ - ٦٧٦هـ / ١٢٣٠ - ١٢٥٥م . ومن جاء بعد هذا الملك " منسا موسى " ويعتبر موسى أعظم ملوكها ، وفي عهده بلغت المملكة أوج مجدها وعزها وامتدت حدودها من بلاد " التكرور " غربا ، الى " دندى " شرقا ، ومن " ولاته " شمالا ، الى مرتفعات " فوتاجالون " جنوبا ، و" ولاته " أو " ايولاتن " هو الاسم الذى أصبح يطلق على ما كان يعرف " بغانه ".(١)

وكان أسلاف منسا موسى يحجون البيت الحرام كل عام ولكن زيارة منسا موسى للأراضي المقدسة سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٢٤م كانت فريدة من نوعها من حيث الأبهة ..

وكتب التاريخ مليئة بذكر أحداث هذه الرحلة التي كانت من نتائجها أن انخفض سعر الذهب في أسواق القاهرة بسبب اغراقها بذهب السودان . ولسبب كثرة الذهب في أيدى الناس . ولم يرتفع سعر الذهب بعد ذلك لمدة سنوات طويلة .(٢)

ومن خلال هذه الرحلة اشترى السلطان موسى كتبا عديدة في الفقه على مذهب الامام مالك في مصر واستصحب معه كثيرا من العلماء والفقهاء الى بلاده ومن ضمنهم المهندس الأندلسي الشاعر أبواسحاق الساحلي .(٣)

وقد شيد له المذكور عمائر ومساجد أضفت على بلاده طابعا

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٥.

(٢) دولة مالي ص ٨٤.

(٣) العبر جـ٦ ص ٤١٥ .

اسلاميا متميزا في مجال فن العمارة .

ومن خلف هذا الملك " منسا سليمان " الذى ولى لمدة أربع وعشرين سنة ،وفي عهده زار ابن بطوطة مملكة " مالي ".

وقد بنى " منسا سليمان " المساجد والمدارس وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك.(١)

ولندع المجال لابن بطوطة كي يحدثنا عن " مالي " في تلك الحقبة وخاصة حياتها الدينية والاجتماعية فيقول :

" فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه ، وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه ،ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر اليها ولا المقيم فيها سارقا أوغاصبا ".(٢)

وعن محافظتهم على الصلوات وعنايتهم بتحفيظ القرآن يقول :

" ومنها مواظبتهم على الصلوات وملازمتهم لها في الجماعات ، وضربهم أولادهم عليها . وان كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام . ومن عادتهم أن يبعث كل انسان غلامه بسجادة ،فيبسطها له بموضع يستحقه حتى يذهب الى المسجد .. ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه ،فلا يفك عنهم حتى يحفظوه .(٣)

---

(١) تاريخ الدولة السودانية بأفريقية العربية ص ١١٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٦٩٠ طبعة دار صادر ودار بيروت.

(٣) المصدر السابق جـ٢ ص ٢٠١.

والجدير بالذكر أن دولة " مالي " لم تكتف باعتناق الاسلام والحرص على مظاهره وعلومه فحسب ، وانما أخذت تدعو له بين الوثنيين حتى ان الدور الذى قامت به في نشر الاسلام يعد من أهم مراحله في افريقيا جنوبي السحراء ،فقد اقترنت جميع فتوحاتها الحربية بالدعوة الاسلامية والى ذلك أشار العمرى بقوله :

وملك " مالي " في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان. (١)

وتـــميزت الدعوة الاسلامية في " مالي " باتجاهين :

الاول : انتشار الدعوة في الامبراطورية نفسها ،ويتضح ذلك في الوجود الاسلامي المتمثل في الدعاة والعلماء والفقهاء والتجار المسلمين والحكام ،وان كانت الاغلبية على الوثنية . وكان هذا الوجود قديمــا كما أشاراليه القلقشندى وابن خلدون فيما سبق ..

كما كان لهذا الوجود طابعه المميز الراقي والذى يجذب اليه أنظار خاصة القوم فضلا عن عامتهم مما يدعو الى تقليده/ فضلا عن امتزاجـــه بالشعب بالمصاهرة والاختلاط وذوبانه في المجتمع بسلوك ممتـــاز كان له تأثيره المبكر وخاصة في الطبقة العليا. مما اقتضى اسلام أول من أسلم من الملوك فيها على يد داعية من هؤلاء فيما رواه البكرى آنفا .

ومن مظاهر هذا الانتشار عناية الملوك بابتناء المساجد فـــي أرجاء الامبراطورية وبمبالغتهم في عمارتها مما أعطى للامبراطورية طابعا حضاريا وثقافيا .

وقد قيل ان السلطان " منسا موسى " كان يبنى مسجدا في كل مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها. (٢)

---

(١) دولة مالي نقلا عن مسالك الابصار.

(٢) تاريخ السودان ص٧.

ومن مظاهر الانتشار هذه كثرة المدارس في " مالي " ملحقة بالمساجد ومستقلة عنها ، وانتشرت بانتشارها لغة القرآن وعلومه وازداد الاقبال والاهتمام بحفظه ودراسته وقد مربك وصف ابن بطوطة لهذه الظاهرة قبلا .

أما الاتجاه الثاني ، فقد تمثل في قيام " مالي " بنشر الدعوة الاسلامية فيما جاورها من الأمم الأفريقية السودانية بأسلوبين :

الأول : حركات جهاد في الوثنيين حولها ممثلة في انتشار حاميات " مالي " العسكرية بين ساحل المحيط الأطلسي غربا الى " كانو " في أرض الهوسا شرقا والى قلب الأدغال في الجنوب . وأوغلت شمالا في الصحراء وأصبحت " مالي " أقوى دولة في السودان الغربي لها بأس شديد وسيادة ونظم ورسالة هي رسالة الاسلام تنشرها ، والى ذلك يشير العمري بقوله :

" ملك " مالي " في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان ".(١)

وتمثل الأسلوب الثاني في الحركة السلمية بايفاد العلماء والدعاة للدعوة الى الله . ومن تلك الوفود ، الوفد الذى وصل الى " كانو " وكان يضم أربعين رجلا من " الماندنجو " بقصد الدعوة الى الله وذلك في فترة منتصف القرن الثامن الهجرى ونهايته.(٢)

---

(١) الدعوة الاسلامية في غربي أفريقيا وقيام دولة الفلاني ص ١٠٤ د / حسن عيسى عبد الظاهر طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

(٢) لمزيد من التفصيل راجع الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٩.

وبدأت أمور الدولة تضطرب وانتهت " مالي " كأمبراطورية اسلامية - سنة الله في خلقه - وكان العامل القوى في التعجيل بتقويضها ووراثتها دولة " صنغاى " التي كانت تحت حكمها واستقلت عنها وحاربتها فملكتها ووسعت رقعتها.(١)

وعلى الرغم من سقوط مملكة" مالي" فان جهود أفراد شعبها في نشر الاسلام لم تتعثر ولم تتأثر بانهيار الدولة .

وفي عهد ملك " كانو" يعقوب الذى تولى الملك سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٥٢م الى سنة ٨٨٣ هـ/ ١٤٦٢م تقريبا ، وصل وفد آخر من " مالي " الى "كانو" ولكن هذا الوفد كان يختلف عن الأول ،حيث كان يتألف من " الفلانيين ".

وقد أحضروا معهم كتب التوحيد واللغة العربية ،وكانت الكتب الدينية المعروفة قبل ذلك غير القرآن هي كتب الفقه والحديث .

ولم يقم هذا الوفد في " كانو" كسابقه وانما واصل سفره شرقا الى "برنو" تاركا وراءه أفرادا منه في أرض الهوسا .(٢)

ثم قامت مملكة " صنغاى" على أنقاض " مالي " بعد أن كانت خاضعة لها . وكان أول من أسلم من ملوكها " زاكسى " وذلك في سنة (٤٠٠هـ) /القرن الحادى عشر الميلادى ،ويقال له " مسلم دم" ومعناه الذى أسلم طوعا .(٣)

---

(١) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص ١١١.

(٢) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٩ و The Kano Chronicles in Palmer Sudanese Memoirs Vo. III p. 104-5

(٣) تاريخ السودان .

وقد مرت هذه المملكة بمراحل عديدة بين مد وجزر الى أن حكمها " الحاج أسكيا محمد " وكان عهده مفترق الطريق في تاريخ "صنغاى ".

فقد اتجه بها وجهة أخرى أقامت لها وجهها الاسلامي ، وكان يدين بعقائد المذهب السني .

و تقلد حكم البلاد واستخدم طائفة من الموظفين الأكفاء ونظم الجيش واستغل ثروة سلفه في النهوض بالشئون الاسلامية ، واستردت " تمبكتو " في عهده مكانتها كمركز للدراسات الاسلامية.(١)

وكان هذا السلطان قد انتزع الملك من آل " سن على " بعد أن كان قائدا من قواد هذه الأسرة المالكة .

غير أنه لم يكن في ذلك بالخارج الباغي أو الطامع للسلطان ، وانما تحسس طريقه الى ذلك على ضوء كلمة الاسلام وحالة المجتمع في عصره وما كان عليه " سن على " من البغي والطغيان .

وشهادة ذلك تلك الأسئلة التي وجهها الى الامام " المغيلي التلمساني " يطلب فيها حكم الاسلام في كثير من القضايا و من بينها قضية انحراف المجتمع وحكامه .(٢)

وكان له جهاد كبير في نشر الاسلام بين الوثنيين من جيرانه " الماندنجو " و " الفلاني " في الغرب ، والطوارق البربر في الشمال ، والهوسا في الجنوب ، وكذا بلاد " الموشى " الوثنية.(٣)

---

(١) الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ص ٦٧ - ٧٠ .

(٢) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص ١١٢-١١٣ .

(٣) المصدر السابق .

ثم قام برحلة الى الحج سنة ٩١٦ هـ / ١٤٩٥م فاقت ما عرف عن " منسا موسى " في الأبهة والكرم ، التقى خلالها بالخليفة العباسي فطلب منه أن يجعله نائبا عنه في "صنغاى "، فأجابه الخليفة الى ذلك وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة .

كما التقى في رحلته تلك بكثير من العلماء الصالحين ، منهم الامام جلال الدين السيوطي . ومما يسجل له ،أنه كان أول من عين القضاة للفصل بين الناس وفق الشريعة الاسلامية .

وجاء " الأساكى " بعده يشجعون العلم ، وكان لبعضهم مكتبات كبيرة يشترى لها دائما المخطوطات والكتب الجديدة التي تصل الى السودان من مصر والمغرب . وشاعت هناك كتب للامام السيوطي ، وكان لاتصاله برجال الدين البارزين في القاهرة كجلال الدين السيوطي وغيره وما قدموه له من نصائح وارشادات دور بارز في تطوير التعليم في السودان الغربي . (١)

ثم كانت نهاية هذه المملكة الاسلامية العظيمة على يد الجيش المغربي الغازى الذى أرسله الملك " أحمد المنصور الذهبي " أواخر القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى فقضى عليها ، وبذهابها لم يبق بعدها قوة ذات خطر في السودان الغربي .

واستقبلت المنطقة بقدوم الغزاة عهدا جديدا من حكم القواد الغزاة والباشوات ، ظل حوالي قرنين أصيب فيهما البلاد بالفتك والانحلال

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٤٥ .

والخمول ،فكثرت الحروب الأهلية وتحطمت الامارات الاسلامية الا ما كان من نشاط " الباجرمي " و" الوداى " في حوض تشاد في منتصف القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى.

ووجدت الدعوة الاسلامية نفسها أمام حالات من الاختناق والتعويق ممثلة في انحرافات كثيرة من حملة الاسلام لبعدهم عن مفاهيمه الدقيقة وحقائقه الوضيئة ،وانفصام سلوكهم عن تعاليمه الناجعة ،ولم يجد من يقوم بتصحيح سيرته لدى الناس ومد رواقه على الحياة واشاعة نوره في المجتمع ..

وهكذا ترك المغاربة مرارة وحسرة في صدور أهل السودان الغربي مما كان له أسوأ الأثر خلال الأعوام التالية ..

وبذلك أسدل الستار على أقسى ما تعرض له السودان الغربي من الغزو الذى جاء من الشمال .

ثم استعد لغزو أجنبي آخر ، قدم هذه المرة من سواحل المحيط الأطلسي ومن الجنوب .. هو الغزو الأوربي الذى كانت فيه الضربة القاضية على تقاليد هذه الشعوب وقيمها وعلى ثقافتهم العربية الاسلامية . (١)

وبعد حين من الزمان ،قامت عدة حركات اصلاحية لنشر الاسلام وثقافته بين الوثنيين وتصحيح مفاهيمه لدى المسلمين المنحرفين .. وقامت هذه الحركات بالجهاد في سبيل ذلك بالسيف واللسان والقلم .

---

(١) لمزيد من التفصيل يراجع " تاريخ انتشار الاسلام في غرب أفريقيا" ص ٦١ - ٧٣ د/ عبد الرحمن زكي ،دار الاتحاد العربي .

ومن أكبر هذه الحركات ، حركة الشيخ عثمان بن فودى في ممالك الهوسا الوثنية في نيجيريا .

وقد انتصر عليهم وأقام دولة اسلامية قوامها نشر العدل بين الناس واعادتهم الى العقيدة الصحيحة النابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وكان لهذه الحركة الجهادية أثر كبير في تقدم أحوال الاسلام والمسلمين ليس في نيجيريا فحسب ، ولكن في غربي أفريقيا كلها .

كما كانت الحركة اعلاء للثقافة العربية الاسلامية في تلك البلاد ، اذ لم تكن دعوة الى الدين منحصرة في التصوف وانما كانت مؤسسة على حركة علمية وعلى دراسة أصيلة ذات أهداف مرسومة غير مرتجلة .

وآية ذلك ما صدر من المؤلفات العلمية القيمة في تلك الفترة المبكرة من حركته ، وأولها مؤلفات الزعيم المجدد " عثمان بن فودى " نفسه ، فقد ألف ما يربو على ثلاثين كتابا وبحثا في الفقه والسياسة والجهاد .

وكان شقيقه " عبدالله بن فودى " فقيها مؤرخا ولغويا نحويا وشاعرا أديبا ، له في كل هذه الميادين كل طريف رائع .. عرف من مؤلفاته أكثر من ثلاثة وعشرين كتابا بعضها لا يزال مخطوطا وبعضها ترجم ونشر في اللغات الأجنبية .. وكذا ابن الزعيم ، " محمد بلو بن عثمان "، فقد كان أديبا وشاعرا ومؤلفا بارعا ، له أكثر من ستة مؤلفات بين مخطوط ومطبوع.

والى جانب هؤلاء علماء آخرون حملوا رسالة الفكر وشعلة الحضارة الاسلامية. (١)

---

(١) يراجع " الثقافة العربية في نيجيريا " ص ٢٤٦- ٢٩٧.

وقد أدرك علماء الغرب من بريطانيين وفرنسيين منذ وطئ الاستعمار الأوربي غربي أفريقيا قيمة وأهمية المخطوطات العربية التي ألفها علماء السودان الغربي فنقلوا اكثرها الى مكتبات بلادهم . ودأبوا على بحثها ثم ترجمتها ونشرها بواسطة المعاهد العلمية عندهم .

ومع ذلك فلا تزال هناك الى اليوم مئات المخطوطات العربية في ميادين العلوم والمعارف المختلفة في مدن نيجيريا الشمالية ، وفي السنغال وبريطانيا وفرنسا لم تصل اليها يد التحقيق ، ومن هنا ندعو الباحثين المسلمين الى تكاتف الجهود - في العالم الاسلامي عامة والعالم العربي على وجه الخصوص على - تحقيق هذا التراث الاسلامي السوداني الهام ونشره لخدمة الدين والعلم ، وهو تراث يمثل عظمة الاسلام وتأثيره الايجابي الرائع فيمن اعتنقوه من الشعوب غير العربية ، كما يمثل اسهامات علماء السودان الغربي في اثراء مكتبة التراث العربي الاسلامي .. وهي جهود لا تقل عن مستوى جهود علماء المشرق والمغرب العربيين في تلك الحقبة من التاريخ الاسلامي ..

ولا شك أن الوقت قد حان للقيام بهذه الرسالة الجليلة ، والله مع العاملين .

محتوى الرسالـــــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحة
هـ - ملامح البيئة الافريقيـــة في هذا الشعر .	٤٣٤
و - حظ أفكارهم من العمق الذهني والتأمل الفلسفي	٤٣٨
ز - موسيقى الاوزان الاثيرة في شعرهم	٤٣٨
خاتمـــة .	٤٣٩ - ٤٤٢
المصادر والمراجع .	٤٤٣ - ٤٥٢
محتوى الرسالـة .	٤٥٣ - ٤٥٥